ماهية الاسم وأنواعه وأقسامه عند ابن حزم الأندلسي(**)

د/محمد بن اعمر*

يعد أبو محمد علي بن حزم من علماء الأندلس الكبار الموصوفين بالعلم والتآليف الكثيرة في شتى مجالات المعرفة والفكر، ولعلّ حقل اللغة العربية كان أحد هذه الاهتمامات المعرفية التي نجد لها آثارا موزعة في تصانيفه المختلفة، ولأدل على ذلك كتابه الموسوم بـــ:حدّ المنطق ،باب الأسماء المفردة،المطبوع ضمن رسائله التي حققها ونشرها د.إحسان عباس بعنوان "رسائل ابن حزم الأندلسي" وهو الكتاب الذي أثار فيه موضوع الاسم وأنواعه وأقسامه، معتمدا في ذلك على الذهنية الذكية والمنطق من أجل تحديد ماهيته ووظيفته، وتبيان اختلافها تبعا لاختلاف معانيه، وقد هداه هذا التصور اللغوي إلى تمييز الأسماء بعضها عن بعض، وإحصائها في أنواع وأقسام.

1/ ماهية الاسم:

يُعرّف ابن حزم الاسم على أنّه صوت، متّفق عليه عند اللّغويّين، وهو عنده خارج الزّمان، وتُشكّل وحداته الفونتيكية كلاً متكاملاً، لا يحتمل التجزئة، وإذا ما جزّئت أصبحت لا تدلّ على معنى من معانيه، وفي هذا الشأن يقول: الاسم صوت موضوع باتّفاق، لا يدلّ على زمان معيّن، وإن فرّقت أجزاؤه لم تدل على شيء من معناه، نريد بقولنا "موضوع اتفاق" اصطلاحًا من أهل اللّغة على ما يختصرون به المعاني الكثيرة بلفظ مختصر يدل عليه"[1].

ويتبدّى من هذا المفهوم المعرفي أنّ الاسم من منظوره هو لفظ مختصر، يوجزُ به معان كثيرة، ويمثل على ذلك بقوله: "كاتّفاق العرب على أنْ سمّت الراعي الطويل العنق، الأحدب الظّهر، العالي القوائم، القصير الذنب، المتخذ للحمل والرّكوب: بعيرًا"[2].

** – هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، ولد بقرطبة سنة 384هـ، وتوفي سنة 456هـ، من مؤلفاته: طوق الحمامة في الإلفة والألاَّف، ينظر ترجمته في: الجذوة للحميدي، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي، والصّلة لابن بشكوال

* – أستاذ بقسم اللّغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات،جامعة تلمسان – الجزائر.

1 – رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: د/إحسان عبّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (ط1)، سنة 1983م، 187/4.

2 – نفسه، 187/4.

وفي اعتقاده لا تشذّ أمّة من الأمم عن هذه الممارسة اللّغوية في الاصطلاح والتّسميّة والمعاني، فالبعير اختلفت تسميته من لغة إلى لغة، لكنّها دالة على هذا الحيوان دلالة واحدة، "وهكذا،كلّ مسمّى وُضع له اسم"[1].

وينتقل ممّا هو نظري إلى ماهو تطبيقي محتفظًا باسم البعير ليكون مادّة لغوية لهذا الغرض فيقول: "وقولك "بعير" لا يدلّ على زمان معيّن، لا حال ولا ماض ولا مستقبل، وأنت إذا قسمته فقلت: "بعي" لم يدل على معنى البعير"[2].

وينفي نفيا قاطعا أن تكون بعض الأسماء الّتي إذا ما جُزّئت إلى وحدات صوتية دلّ بعضها على بعض معناها، ويصف أصحاب هذا الرّأي بالقوم الجهّال[3]، ويضرب مثالاً على ذلك: "كقولك: "عبد الله" فإنّ عبدًا يدل على معنى، فاعلم أنّ المعنى الّذي يدل عليه "عبد" غير المعنى الّذي يدلّ عليه "عبد الله"، أي أنّه لا يدلّ على المعنى الذي قصد بتسمية الرّجل "عبد الله"[4]، ويضيف معلّلا من منطلق فلسفي معين "ألا ترى أنّك تقول فيمن اسمه عبد الرحمن ليس هذا عبد الله، هذا عبد الرّحمن، أو هذا خالد فيمن اسمه خالد، وتكون صادقا مصيبًا، ويكون مسمّيه عبد الله كاذبًا مخطئًا، فلو كان المراد في التّسمية الإخبار بأنّه عبد الله كان عبد الرّحمن، ولكان عبد الرّحمن عبد الله أيضًا، ولكنت في نفيك أنّه عبد الله أيضًا كاذبًا، ولكان من سمّاه عبد الله في الشهادة عليه والإخبار عنه صادقا، ولا شكّ في كذبه، فصحّ ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق"[5].

2/علاقة الاسم بالمسمى:

يُميّز هذا الفقيه العالم بين الاسم كلفظ والمسميّات كمعان، ومن ثمّ فإنّ الأوصاف والأخبار عنده تنطلي على المسمّيات لا على الأسماء، وفي هذا الصدد يقول موضحًا هذا القصد: "وقد لاح بالحقيقة التي بيّنا أنّ الأوصاف والأخبار كلّها إنّما تقع على المسميات لا على الأسماء، وأنّ المسميات هي المعاني والأسماء هي عبارات لها، فثبت بهذا أن الاسم غير المسمّى، ووَضح غلط من ظنّ غير ذلك من أصحابنا الّذين يقولون الكلام غير محققين له: إنّ الاسم هو المسمّى"[6].

---

[1]- نفسه، 187/4.
[2]- نفسه، 187/4.
[3]- نفسه، 187/4.
[4]- نفسه، 187/4.
[5]- نفسه، 187/4.
[6]- نفسه، 187/4.

ويعتقد أنّ سيرورة الاسم مرتبطة بصفات المسمّى، وهو قائم بوجودها، فإن "ذهبت الصفات التي من أجلها استحق الشيء المسمّى أن يُسمّى بهذا الاسم بطل المسمّى به جملة"[1].

3/أنواع الاسم:

الاسم عند ابن حزم نوعان: معارف و"هي الخصوص كقولك زيد وعمرو والرّجل الذي تعرف، وغلام زيد وغلام الرّجل وغلامي"[2]، ونكرات وهي "العموم كقولك رجل ما وحمار ما"[3].

ولهذه الأسماء "أبدال تنوب عنها معروفة في اللغات، بعضها للحاضر المتكلّم، وبعضها للحاضر المكلّم، وبعضها للمُخبر عنه وبعضها للمشار إليه كقولك: أنا وأنت وهو وهذا، وهذه هي المسماة عند أهل النحو الضمائر والمبهمات والكنايات، وقد قدّمنا أنّها غاية الخصوص وأعرف المعارف"[4].

والأسماء التي تقع على جماعة الأشخاص هي عنده أيضا نوعان: ذاتي وغيري، أمّا الذاتي إمّا أن يكون لفظًا يسمّى به أشخاص كثيرة مختلفة بأشخاصها وأنواعها، ويسمّى هذا اللّفظ "جنسًا" وإمّا أن يكون لفظا يسمّى به أشخاص كثيرة مختلفة بأشخاصها لا بأنواعها، ويسمّى هذا اللّفظ "نوعًا"، وإمّا أن يكون لفظًا يُسمّى به أشخاص كثيرة مختلفة بأنواعها وأشخاصها ويسمّى هذا "فصلا"[5].

ويوضّح ابن حزم ما سبق بهذا الحوار اللّغوي الفلسفي فيقول: "وبيان ذلك أن نقول: ما هذا الشيء؟ فيقال لك: جِسْمٌ، فنقول: أيّ الأجسام هو؟ فيقال لك: النّامي، فتقول أيّ النّماة هو؟ فيقال لك: ذو السّعف والخوْص والورق والجريد المستطيل، والثمرة التي تسمّى ثمرًا. فالجسم: جنس، والنّامي نوع، وقولك: ذو السّعف والخوص، والجريد: فصل، وأنت إذا أسقطت الصفات التي ذكرنا، التي من أجلها استحقت تلك الأشخاص أن تسمّى بالأسماء التي ذكرنا، وتوهّمت معانيها معدومة، سقطت عنها تلك الأسماء البتّة، فلهذا سُمّيت ذاتية"[6].

ويستطرد في موضع آخر من رسالته معلّلا معنى الأسماء الذاتية بالمثال فيقول: "ومثال ذلك أنّنا نقول في الذاتية: حيوان فيدلّنا على الإنسان والفرس وغير ذلك، وهذه الأسماء تختلف بالأنواع والأشخاص معًا، فإنّ الإنسان يخالف الفرس بشخصه في أنّه

---

[1]- نفسه، 4/108.
[2]- نفسه، 4/188.
[3]- نفسه، 4/188.
[4]- نفسه، 4/189.
[5]- نفسه، 4/108-109.
[6]- نفسه، 4/109.

غيره، ويخالفه أيضًا بصفات شخصه، ونقول: فرس زيد، وفرس عمرو، فهذان إنّما يختلفان بالشخص فقط، أي أن هذا غير هذا، وإلاّ هذا فرس وهذا فرس، وهما متفقان في الصفات التي بها استحق كل واحد منهما أن يسمّى فرسًا، وكذلك الدّينار والدينار، والدّرهم والدّرهم، وهكذا سائر الأسماء"[1].

أمّا بالنّسبة إلى النوع الّذي سمّاه "غيريًّا"، فهو ينقسم عنده قسمين: إمّا لفظ يدلّ على كثيرين مختلفين بأنواعهم، ويسمّي هذا "عرضًا عامًّا"، وإمّا أن يكون لفظًا يدلّ على كثيرين مختلفين بأشخاصهم، وتسمّى ذلك "عرضًا خاصًّا" ويوضّح ابن حزم هذا القصد بالمثال فيقول: "وكذلك نقول في الغيرية: أبْيَضٌ وأبيضُ، ونعني الإنسان أبيضَ، والثوب أبيضَ، والحائط أبيضَ، وهذه كلّها مختلفة بأنواعها وأشخاصها، في أنّ كلّ واحد منها غير الآخر، وتختلف أيضًا بصفاتها في أنّ أحدها لحمٌ ودمٌ، والثاني كتّان محوكٌ، والثالث ترابٌ وماءُ وجصٌّ. ونقول ضحّاك وضحّاك فإنّما يختلفان بالشخص في أنّ هذا غير هذا، وأمّا سائر الصفات التي بها استحقّا اسم الإنسانية فهما فيها متّفقان"[2].

4/أقسام الاسم:

يرى ابن حزم في كتابه الموسوم بـــ: الأسماء المفردة، المقدمة الأولى، أن الأسماء التي يندرج تحت كل واحد منها جماعة أشخاص، فإنّ مسمّياتها تقع تحتها في جميع اللّغات، أولّها عن آخرها على خمسة أوقسام لا سادس لها وهي كالآتي[3]:

أوّلا: إمّا أن "يكون المسمي يوافق المسمى الثاني في اسمه وحدّه معًا، كقولنا: فرسٌ وفرسٌ أو كقولنا: حَيٌّ وحيٌّ، فإنّ كل واحد من هذين المسميين يوافق الآخر في اسمه لأنّه لفظ واحد، ويوافقه أيضا في حدّه، لأنّ كليهما حسّاس متحرّك بإرادة، وكلاهما أيضا صهّال محدّد الآذان، مستعمل في الرّكوب، متوهم منه السّرعة في الجري، وهذا النوع يسمّى "الأسماء المتواطئة وإن شئت قلت المتّفقة"[4].

ثانيا: وهي عنده أن "يكون المسمّى يخالف المسمّى في اسمه وحدّه معًا كقولنا: رجل وحمار فإنّ هذين لفظان مختلفان وحدّان مختلفان، وهذا النوع يسمّى "الأسماء المختلفة""[5].

ثالثا: وهي أن "يكون المسمّى يوافق المسمّى في اسمه ويخالف في حدّه"[6]، ويضرب ابن حزم لهذا النوع من الأسماء أمثلة فيقول: "كقولنا "نسْر" للطائر المبالغ في

---

[1]- نفسه، 110/4.
[2]- نفسه، 110/4.
[3]- نفسه، 134/4.
[4]- نفسه، 134/4.
[5]- نفسه، 134/4.
[6]- نفسه، 134/4.

الاستعلاء في الجوّ الّذي يأكل الجيّف، وقولنا لبعض حافر الفرس "تِسْر" وقولنا "تسر" للنّجم الّذي في السّماء، وأشبه هذا مما هو كثير في اللّغة، وهذا النوع يسمّى الأسماء المشتركة"[1].

ويعتقد أن هذا القسم من الأسماء ممّا يوقع البلاء الكثير في المناظرات "فيتنازع الخصمان ويُكثران الهراش"[2]، والسّبب في ذلك أنّ أحدهما يقصد إلى معنى ما والآخر يروم معنى آخر مخالفًا[3].

ويعلّق على هذه الظاهرة فيقول: "وهذا لا يقع إلاّ بين جاهلَيْن أو جاهل وعالم، أو سُوفسطائيين أو سوفسطائي ومنصف، ولا يقع أبدًا بين عالمين منصفين بوجه من الوجوه، ولا يسلم من ذلك إلاّ من تميّز في هذه الصناعة وأشرف عليها وقوي فيها، فإنّه لا يخفى عليه من معاني الكلام شيء"[4].

رابعا: وهي أن "يكون المسمّى يوافق المسمّى في حدّه، ويخالفه في اسمه"[5]، ويمثل على ذلك بقوله: "مثل قولنا سِنّور، وضَيّون، وهرّ، فإنّ هذه الألفاظ مختلفة، وهي كلّها واقعة وقوعًا واحدًا على كلّ شخص من أشخاص النوع المتخذ في البيوت لصيد الفأر الّذي يُلِحّ في السّؤال عند الأكل، ويُشبه الأسد في خلقه، وهذا النوع من الأسماء يُسمّى المترادفة"[6].

خامسا: وهي أن يكون "المسمّى يخالف المسمّى في حدّه وفي اسمه الّذي خصّ نوعه به إلاّ أنهما يتفقان في صفة من صفاتهما أوجبت لهما الاشتراك في اسم مشتق منها إمّا جسمانية وإمّا نفسانية حالا كانت أو هيئة"[7].

ويعلّل ابن حزم هذا الطرح بقوله: "فالجسمانية كقولنا: ثوب أبيض، وطائر أبيض، ورجل أبيض، فإنّ كل واحد من هذه المسمّيات حدّه غير حدّ صاحبه، واسمه في نوعه غير اسم صاحبه، وقد اشتركت كلّها في أن سَمّي كل واحد منها أبيض، والنّفسانية كقولنا أسد شجاعٌ ورجل شجاعٌ، وهذا النوع من الأسماء يسمّى الأسماء المشتقة"[8].

---

[1]- نفسه، 4/134.
[2]- نفسه، 4/135.
[3]- نفسه، 4/135.
[4]- نفسه، 4/135.
[5]- نفسه، 4/135.
[6]- نفسه، 4/135.
[7]- نفسه، 4/135.
[8]- نفسه، 4/135.

ويخلص في الأخير إلى أنّ "هذه الأقسام الخمسة تقع على الأجناس والأنواع وأصناف الأنواع التي كأنها أنواع كقولنا: رجل وامرأة وذكر وأنثى"[1].

ولم يَفُت هذا اللّغوي المنطقي أن يتحدّث ــ خارج دائرة ما سبق ــ عن الأسماء المختصة كما سمّاها فيقول: "فهي التي تقع على ذات المسمّى وحده، أو على كلّ شخص من أشخاص ما، وهي أن تكون المسمّيات منها وُضعت لها أسماء تختص بالمسمّى أو بأشخاص ما لتمييز بعضها من بعض، فإمّا تتفق فيها وإمّا تختلف وهي قد تبدل ولا تستقرّ استقرارًا لازمًا لأنّها إنما تكون باختيار المسمي، ولو شاء لَم يسمَّ ما سُمّي بذلك، ولم يقصد به الإبانة عن صفات مجتمعة في المسمّى دون غيره، كما قصد في الأوّل، ولا اشتقت للمسمّى بها من صفة فيه أصلاً وهي التي يسميها النحويون "الأسماء الأعلام" وذلك نحو قولك: زيد وعمرو أو زيد وزيد أو أسد في اسم رجل أو كافور في اسمه أيضا وما أشبه ذلك"[2].

ويختم أبو محمد حديثه عن هذا الموضوع فيقول: "فهذه أقسام المسميات كلّها تحت الأسماء، ووقوع الأسماء كلّها على المسميات ولا مزيد"[3]، ويضيف مثيرًا موضوع أسماء الله الحسنى قائلاً: "وأسماء الله تعالى التي ورَد النصّ بها أسماء أعلام غير مشتقة من شيء أصلاً، وأمّا صفات الفعل له تعالى فمشتقة من أفعاله، كالمحيي والمُميت، وما أشبه ذلك، وتلك الأفعال أعراض حادثه في خلقه، لا فيه، تعالى الله عن ذلك"[4].

وممّا سبق يُمكننا تبيّن ماهية الاسم و أنواعه وأقسامه عند ابن حزم في الجدولين الآتيين:

أ- الجدول الأوّل:

الأسماء هي	المسمّيات هي	طبيعة الاسم
عبارات للمعاني ألفـــــــاظ لفظ مختصـــــر صوت متّفق عليه	معان للأسماء أوصـــاف أخبـــــار	هو كل متكامل لا يقبل التفرقة أو التجزئة.

وخلاصة ذلك أن الاسم عند ابن حزم غير المسمى، وأن سيرورته مرتبطة بتلك الأوصاف، وبدونها تسقط عن الأشخاص تلك الأسماء.

---

[1]- نفسه، 135/4.
[2]- نفسه، 135/4-136.
[3]- نفسه، 136/4.
[4]- نفسه، 136/4.

ب- الجدول الثاني:

أنواع الأسماء هي	أقسام الأسماء هي	أبدال الأسماء هي	طبيعتها هي
ذاتـــي غيـــري معارف [خصوص] نكـــرات [عموم]	متواطئة (متّفقة) مختلفة مشتركة مترادفة مشتقة وخارج هذه الدائرة هناك: المختصة وأسماء الله الحسنى	الضمائر المبهمات الكِنايات	أنواع وأقسام وأبدال

وخلاصة ذلك أن الأسماء هي مجموعات قد وقعت كلها على المسمّيات ولا مزيد.

وهكذا يتبيّن من هذا العرض لماهية الاسم وأنواعه وأقسامه عند هذا العالم الفقيه اللغوي أنه نظر إلى هذا الموضوع نظرة فلسفية أساسها المنطق، وهي نظرة تشي بعمق ثقافته العقلية والعلمية، وتنمّ في الوقتِ نفسه عن سعة إحاطته بعلم اللغة العربية وفلسفته.